

هذا البحث مقتبس من كتاب (هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان)

من الصفحة ١٧٠ حتى الصفحة ٢١١

للشيخ الإمام عبد الله سراج الدين

بناء على توجيهات ولده المهندس الشيخ محمد محيي الدين سراج الدين رحمهما الله تعالى ورضي عنهما ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيمة وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام من موقعه الرسمي والوحيد WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام - المؤلفات المكتوبة و قبسات من المؤلفات

مدير الموقع : الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

بيان قِصَّةِ الغَرَانِيْقِ البَاطِلَة

البحث في هذه القصَّة يدور علىٰ أمور ثلاثة:

الأول: إيراد القصة المفتراة.

الثاني: ذكر وجوه متعددة من الأدلّة القاطعة تُبَيِّن فساد هذه القصة.

الثالث: بيان أَنَّ قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولِ وَلَا نَجِي إِلَا إِذَا تَمَنَّى آلْفَى ٱلشَّيْطَانُ فِى أَمْنِيْتِهِ ﴾ الآية الكريمة ، ليس فيه دلالة على وقوع القصة ، ثم ذكر المعنى الصحيح المستقيم الذي تدل على الآية الكريمة مع الأدلَّة إن شاء الله تعالىٰ.

إيراد القصَّة الباطلة:

ذكر بعض المفسِّرين نقلاً عن ابن أبي حاتم وابن جَرير ، فيما يرويانه عن سعيد بن جبير قال: قرأ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بمكة: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ فلما بلغ هذا الموضع ﴿ أَفَرَهَ يَتُمُ ٱللَّنتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ فلما بلغ هذا الموضع ﴿ أَفَرَهُ يَتُمُ ٱللَّنتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿ وَٱلْهُ وَسَلَّم : قال سعيد: فألقىٰ الشيطان علىٰ لسانه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: تلك الغرانيق العلىٰ ، وإن شفاعتهن لتُرتَجیٰ .

قالوا _ أي: المشركون _: ما ذكر آلِهتنا بخيرٍ قبل اليوم.

فسجد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وسجدوا ، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا آرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولِ وَلَا نَبِي إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِيَ الشَّيْطِانُ فِي الشَّيْطِانُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ عَالِمَتِهِ وَٱللَّهُ عَلِيمُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ عَالِمَتِهِ وَٱللَّهُ عَلِيمُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ عَالِمَتِهِ وَٱللَّهُ عَلِيمُ مَا يَكُمِيمُ ﴾.

والغرانيق: جمع غُرنوق ، وهو طير أبيض معروف.

فهذه قصة الغرانيق ، هي قصة مكذوبة ، ليس لها سند يُعتمد عليه كما قال الحافظ ابن كثير: طُرقها كلها مُرسلَة ، ولم أرها مسندة من وجهِ صحيح والله أعلم. اهـ.

وقال الحافظ البيهقي: هي غير ثابتة من جهة النقل.

وذكر عن الإمام ابن خزيمة أَنَّ هذه القصة من وضع الزنادقة.

وأبطلها ابن العربي المالكي، والإمام الفخر الرازي، وجماعات كثيرة من أهل التفسير والحديث.

قال عبد الله: وسأذكر مُستعيناً بالله تعالى وجوهاً من الأدلَّة ، المنقولة والمعقولة ، الدَّالة قطعاً على بُطلان قصة الغرانيق إن شاء الله تعالى ، مبتغياً بذلك رضا الله تعالى ورضا رسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، قال تعالىٰ: ﴿ وَاللهُ وَرَسُولُهُ اللهُ أَدَتُ أَدَتُ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾.

أوَّلاً: هذه القصة مردودة من ناحية علم مصطلح الحديث لأسباب متعددة:

السبب الأول: في رد هذه القِصة هو أنَّ أسانيدها كلها مرسلة ، وفيها أيضاً انقطاع. وقد ذكر البزَّار أنه لا يُعرف لهذه القِصة التي فيها الغرانيق سند متصل إلا من طريقٍ واحدٍ ، تفرَّد به أُميَّة بن خالد ، عن شعبة ، عن أبي بِشر ، عن سعيد بن جبير ، مع الشك الذي وقع في وصله.

فقد روئ البرَّار في (مسنده) عن يوسف بن حماد ، عن أمية بن خالد ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما أحسب _ الشك في الحديث كما جاء في (شرح الشفاء) _ ثم ساق حديث القصة المذكورة ، فلم ترد قصة الغرانيق متصلةً إلا من هذا الوجه الذي شك راويه فيه ، ومعلوم أنَّ ما كان سنده كذلك لا يُحتج به لظهور ضعفه ، ولذا قال الحافظ ابن كثير كما تقدم: إنه لم يَرَها مُسندة من وجهٍ صحيح .

السبب الثاني: هو اضطراب المتن في قصة الغرانيق:

ففي روايةٍ أن ذلك جرئ على لسانه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، كما هو رواية ابن أبي حاتم المتقدمة.

وجاء في رواية أنَّ الشيطان قال ذلك ، كما هو في رواية لابن أبي حاتم ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب قال: أنزلت سورة النجم وكان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجل يَذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه . قال: وكان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قد اشتدَّ عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم ، فكان يَتمنَّىٰ هُدَاهم ، فلما أُنزِل عليه سورة النجم قال: ﴿ أَفْرَءَيْتُمُ اللَّكَ وَالْعُزَىٰ إِنَّ وَمَنَوْةَ النَّالِثَةَ اللَّالَةُ وَاللَّهُ اللَّهُ الطواغيت ، وكان دلك الشيطان عندها كلماتٍ حين ذكر الله الطواغيت ، فقال ـ الشيطان ـ: وإنهنَّ لهنَّ الغرانيق العلىٰ ، وإن شفاعتهن لتُرتَجیٰ ، وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته ، فوقعتْ هاتان

الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة ، قال: ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان في مسامع المشركين إلخ (١).

وتارةً تُروى قصة الغرانيق ، أنها ألقاها الشيطان على لسان النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو في الصلاة ، كما جاء ذلك في رواية قَتادَة قال: كان النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُصلي عند المقام إذْ نعِس ، فألقىٰ الشيطان علىٰ لسانه: وإن شفاعتها لتُرتجىٰ ، وإنها لمع الغرانيق العُلىٰ _ فحفظها المشركون. إلخ.

وتارةً تُروئ قصة الغرانيق أنها كانت خارج الصلاة وهو يقظان صلًىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وكان ذلك في نادٍ من أندية قريش كثير أهله. كما في رواية محمد بن كعب القُرظي مرسلًا، رواها ابن جرير.

وروئ ابن جرير أيضاً ، عن أبي العالية قال: نزلت سورة النجم بمكة ، فقالت قريش: يا محمد إنه يجالسك الفقراء والمساكين ، ويأتيك الناس من أقطار الأرض ، فإن ذكرت آلهتنا بخير جالسناك ، فقرأ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سورة النجم ، فلما أتى على هذه الآية: ﴿ أَفَرَءَيّتُمُ ٱللّتَ وَٱلْعُزّي ﴿ وَمَنَوْةَ ٱلتَّالِثَةَ اللّهُ عَلَى الله على الغرانيق العُلى ، أللّهُ على الشيطان على لسانه: وهي الغرانيق العُلى ، أللّه عنه ترتجى . فلما فرغ من السورة سجد وسجد المسلمون والمشركون ؛ إلا أبا سعيد بن العاص . إلخ .

فانظر في اضطراب هذ القصة المزعومة.

وَمَـرَّةً تُروىٰ أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان في سِنَةٍ مِنَ النوم وقال ذلك.

⁽١) انظر تفسير ابن كثير باختصار.

فانظر في هذا التناقض في نصوصها ، والتعارض فيها الذي لا سبيل إلى دفعه.

وما ذلك إلا لأنها كذب وافتراء ، فتلونت وجوهها ، ولو كان حقاً وصدقاً لكان لها وجه واحد ، وإن جاءت من ألف طريق فلا يقع التناقض بين نصوصها ولا التعارض ، وهو مدفوع عن الصحاح لوجوه صحيحة مقبوله معقولة ، كما هو معلوم عند المحدثين.

فاضطراب هذه القصة يردها ، ويدلُّ على كذبها وافترائها بلا شكّ.

السبب الثالث: إنَّ رواية قصة الغرانيق هي منكرة ، لأنها مُخالفة للصحيح المعروف عند المحدثين.

فقد روى البخاري في تفسيره من (صحيحه) عن الأسود بن زيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (أوَّلُ سُورةٍ أنزلت فيها سجدة: ﴿ وَٱلنَّجْمِ ﴾ ، قال: فسجد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم وسجد مَنْ خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه ، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً؛ وهو أمية بن خلف) فليس في هذا الحديث الصحيح شيء من قصة الغرانيق.

بل الرواية الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً ليس فيها شيء من قصة الغرانيق.

ففي (صحيح) البخاري ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (سجد النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجنُّ والإنس).

فهذه الروايات هي المعروفة الصحيحة المعوّل عليها ، وأما

الروايات التي فيها قصة الغرانيق فباطلة ، بجميع وجوهها منكرة.

وقد يَسْأَل سائل فيقول: ما السبب الذي حمل المشركين أن يسجدوا مع المسلمين كما في رواية البخاري.

فالجواب: أنَّ المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن من النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم اهتزَّت قلوبهم ، وانشرحت صدورهم ، وانبهتتْ عقولهم ، واعترتْهم الهيبة والفزع ، وفي تلك الحالة ينطقون بالحقِّ. . . حتىٰ إذا فارقوا مجلسه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، ورجعوا إلىٰ قومهم: نكسوا علىٰ رؤوسهم ، وجحدوا ما أيقنوا ، وأنكروا ما عرفوا ، وهناك شواهد واقعة كثيرة تثبت ذلك:

فهذا الوليد بن المغيرة ، لمَّا سمع القرآن من النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم قال: واللهِ إنَّ له حلاوةً ، وإن عليه لطلاوةً ، وإن أعلاه لَمُثْمِر ، وإن أسفله لمغدِق ، وإنه الحق يعلو ولا يعلىٰ عليه ، وما هو بقول البشر.

ثم لما رجع وجاء أبو جهل وأفسد عليه أمره ، انتكس ، فراح فكَّر وقدَّر ، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ ۞ فَقُبِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ فَقُبِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ فَقُالَ إِنْ هَلَاَ إِلَّا سِمْرٌ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۞ فَقَالَ إِنْ هَلَاَ إِلَّا سِمْرٌ بَوْقَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۞ فَقَالَ إِنْ هَلَاَ إِلَّا سِمْرٌ بَهُ مَ أَنه قبل ذلك قال: وما هو بقول البشر.

وهذا عتبة بن ربيعة ، لمَّا سمع من النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمُّ صَلِعَقَةً مِّشَلَ صَلِعِقَةٍ عَادٍ وَتَشُودَ﴾.

قال: يا محمد أناشدكَ الله والرحم إلاَّ كففتَ عن هذا ، وخرج فزعاً؛ ثم انتكس.

وهكذا لما سمع المشركون آخر سورة النجم ، وما فيها من التهديد والوعيد بالعذاب في الدنيا والآخرة ، أخذ ذلك منهم مأخذاً كبيراً ، قال تعالى في آخر سورة النجم: ﴿ وَأَنْدُمُ أَهَلُكَ عَادًا اللهُ وَنَمُودَا فَمَا أَبْقَىٰ ﴿ وَقَوْمَ نُوجٍ مِن قَبِّلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمَ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿ وَاللهُ وَاللّهُ وَلِهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلِهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلِلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّ

فَلَمَّا سمعوا ذلك فزعوا وخافوا ، فما وسعهم إلَّا أن يسجدوا مع المسلمين ، لأنَّ سلطان الكلام الإلهي ، وما فيه من شدَّة الوعيد سَيْطَرَ عليهم ، وأثَّر في قلوبهم ، فانساقوا للحق ، ثم بعد ذلك راحوا يَجْحدون وينكرون .

وهناك شواهد كثيرة ربما تمرُّ علينا في هذا الكتاب إن شاء الله تعالىٰ.

فلا عجب ولا غرابة من سجود المشركين حين سمعوا تلك الآيات فسجدوا.

وحيث أنَّ الثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما هو ما تقدَّم في رواية البخاري ، فما السبب الحامل علىٰ أن نُجاوز الصحيح إلىٰ نقل غير صحيح ولا ثابت ، والله تعالىٰ يقول: ﴿ وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ يِهِ عِلْمُ ﴾ أي: لا تتبع ما ليس له دليل يَثْبتُ العلم به.

ثم يحذِّر سبحانه من خَطَر ذلك فيقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ

وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُوَّادَ كُلُّ أُوْلَكِيَكَ كَانَ عَنَهُ مَسْعُولًا ﴿ فَأَيُّ عَلَمٍ جَازِمِ تَثْبَتُهُ قَصَة الغرانيق ، وأيُّ ظنٍ غالب قوي تُعطيه هذه القصة ؟ وأسانيدها كُلُّها واهية.

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم لا يقبلون حديثاً يبلغهم عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم لم يسمعوه منه؛ حتىٰ يتثبتوا من نسبته إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، فكيف إذا كان أمراً اعتقادياً ، ويتعلق بالله ورسوله مصلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، وبكلامه سيحانه.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يَتَثَبَّتُ من حديث الاستئذان ثلاثاً والرجوع بعد ذلك ، حين سمعه من أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ويطالبه بمن يَشْهد له بذلك الحديث ، وقد فعل ذلك أبو موسى كما جاء في (الصحيحين) وغيرهما ، والحديث معلوم.

فَإِنَّ هذه القصة _ قصة الغرانيق _ ظاهرة الوضع لأن علامات الوضع ظاهرة فيها.

وقد ذكر علماء الحديث: أنَّ من علامات وضع الحديث مخالفته للمنقول الصحيح، ومخالفته للعقل الصحيح، وهي مخالفة للأصول الثابتة بالكتاب والسنَّة، ومعارضة لها، كما سيتضح هذا من وجوه متعددة:

الأول: إنَّ قصة الغرانيق تتنافى مع سياق الآيات الواردة في أول سورة النجم ، وتتنافى مع لِحاقها.

فَالله تَعَالَىٰ يَقُولَ فِي أُوَّلَ سُورَةَ النَّجِمِ: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَاغَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْمُوكَ ۞ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْنُ يُوحَىٰ ﴾. فهو سبحانه يُعْلِم عبادَه ويعلنُ لهم في هذا القرآن الكريم: أن محمداً رسوله الكريم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما ينطق عن الهوىٰ ، وإنما ينطق عن وحي يُوحيه الله تعالىٰ إليه ، فكيف يُتصوَّر لدىٰ العقل أن ينطق عن الشيطان؟؟!!.

بل إذا كان الشيطان لا يُمكنه أن يتسلَّط على رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولا أن يقاربه، ولا أن يشاغب عليه، أو يلبِّس عليه في حالة الغضب التي يُلبس فيها الشيطان علىٰ غيره صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وربما تسلط عليهم وأجرىٰ علىٰ لسانهم ما لا ينبغي شرعاً، كما قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: "إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلِق من النار، وإنما تُطفأ النار بالماء، فإذا غَضِبَ أحدكم فَلْيَتَوَضَاً» رواه أبو داود.

وقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم للرجل الذي اشتدَّ غضبه: «إني لأَعْلَم كلمةً لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» الحديث كما في (الصحيحين) وغيرهما.

فالغضب حالة قد تُخرج الرجال عن خَطِّ الاعتدال ، لتسلُّط الشيطان ومقاربته للغضبان.

وأما سيدنا محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقد حفظه الله تعالىٰ من ذلك ، وَصَوَّب كلامه ، وسدَّد أقواله في جميع أحواله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فهو ينطق بالحقِّ والصدق في حالة الرضا والغضب ، لا يُخرجه الغضب عن كمال الصواب ، إذ ليس للشيطان إليه باب.

روى الإِمام أحمد ، وأبو داود ، عن عبد الله بن عمرو رضى

الله عنهما قال: (كنت أكتب كلَّ شيء أسمعه من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أريد حفظه ، فَنَهَتْنِي قريش وقالوا: أتكتبُ كلَّ شيءٍ تسمعه من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا.

قال عبد الله: فأمسكت عن الكتابة ، فذكرتُ ذلك للنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فَأَوْمأ بأصبعه إلىٰ فيه _ أي: فمه الشريف _ فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «اكتُبْ. فوالذي نفسي بيده ما يَخْرُجُ مِنْه إلا حقُّ»).

وعند أحمد: «اكتب. فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق».

وعند الدارمي: «اكتب. فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا عق».

وروى الإمام أحمد ، عن أبي أمامة رضي الله عنه: (سُمِعَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «ليدخلنَّ الجنة بشفاعة رَجل ليس بنبي مثل الحيَّين: ربيعة ومضر».

فقال رجل: يا رسول الله أُوَمَا ربيعة من مضر؟

فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «إنَّما أقول ما أُقَوَّل» صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم).

وروى الإمام أحمد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «إني لا أقول إلا حقاً».

فإذا كان الشيطان لا يمكنه أن يقارب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حالة غضبه ، فكيف يتسلَّط عليه ويشاغب عليه في حال تلاوته وتبليغه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم القرآن ، لاسيَّما وقد

استعاذ بالله من الشيطان الرجيم قبل تلاوته ، عملًا بما علمه الله تعالى بقوله: ﴿ فَإِذَا قُرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِدْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّحِيمِ ۞ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلُطُنَ عَلَى ٱلدِّعِيمِ ۞ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلُطَنَ عَلَى ٱلَذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

فإنْ صحَّتْ قصة الغرانيق علىٰ فرض المستحيل فما معنىٰ هذا الإعلام الإلهي في أول سورة النجم ، بأنَ محمداً صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رسوله الكريم ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْمُوكِنَ ﴾ وإنما هو الوحي من الله تعالىٰ لا غير ، فلا شك أنها قصة باطلة.

كما أَنَّ قصة الغرانيق تتنافى صراحةً مع لِحاق الآيات ، فقد قال تعالىٰ: ﴿ أَفَرَءَ يَثُمُ اللَّكُمُ الذَّكُرُ وَلَهُ تعالىٰ: ﴿ أَفَرَءَ يَثُمُ اللَّكُمُ اللَّكُمُ الذَّكُرُ وَلَهُ اللَّانَةَ الْأَخْرَىٰ ۚ إِنَّا فِسْمَةُ ضِيرَىٰ ۚ إِنَّ هِي إِلَّا أَسْمَاءٌ ﴾ أي: ما أصنامكم التي تُسمُّونها آلِهةً ﴿ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآ وَكُمْ مَّا أَنزَلَ اللَّهُ يَهَا مِن سُلْطَنَ إِن يَتَبِعُونَ إِلَّا الظَّنَ وَمَا تَهُوى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِن رَبِّهِمُ الْمُدَىٰ ﴾.

فذمَّهم وذمَّ آلهتهم ، وسخَّف عقولهم ، وسجَّل عليهم الضلال حيث تركوا طريق الهدى الذي جاءهم به النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، وركبوا طريق الضلال الذي تهواه أنفسهم ، فعبدوا حِجارةً وسمَّوها آلهةً ، وفي هذا ذم صريح فاضح للمشركين.

كما أنه ذمَّهم ووبخهم ، وسجَّل عليهم الجهل والجهالة في دعواهم أن الملائكة إناث ، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اَلَذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَا سُمْوُنَ اللَّائَةِكَةَ تَسْمِيةَ ٱلْأَنْتَىٰ ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٌ إِن يَلَيَّعُونَ إِلَّا ٱلظَّنُّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ ٱلْمُوَ شَيِّعًا ﴿ إِنَّ الطَّنَّ وَإِنَّ ٱلطَّنَّ وَإِنَّ ٱلطَّنَّ وَإِنَّ ٱلطَّنَّ وَإِنَّ ٱلطَّنَّ وَإِنَّ ٱلطَّنَّ وَإِنَّ الطَّنَّ وَاللَّهُ مِن صَلَّى عَن سَبِيلِهِ وَهُو أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ . مَبْلَغُهُم مِن ٱلْعِلْمُ بِمَنِ الْهَنَدَىٰ ﴿ وَالضَلالُ .

فكيف يُتصوَّر بعد هذا الذم للمشركين ، وتسفيه أحلامهم ، أَنْ يكون قد مدح أصنامهم بأنها الغرانيق العُلئ. . . . إلخ .

أي: فكيف يتصوَّر أن يَمدحهم ثم يذمهم، وَيُجَهِّلَهم ويضللهم، ويُسَخِّفَ عقولهم، ثم يسجدون معه رضاً عنه، لأنه مدح أصنامهم بأنها الغرانيق العليٰ؟!! بل لو حصل ذلك لاعترضوا ولقالوا: كيف تمدحها ثم تذمُّها بعد ذلك ، وتختم المجلس بذمها.

الثاني: يُقال لمن جعل قصة الغرانيق سبباً لنزول آية: ﴿ وَمَا أَرْسَلُنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولِ وَلا نَبِي إِلاَ إِذَا تَمَنَى آلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَتِهِ ﴾ أي: ألقى على لسانه ، أو بين سكتاته ، يقال له: هذه قصة ألقاها الشيطان عند تلاوة سورة النجم ، فما هي بقيَّة الإلقاءات الشيطانية التي ألقاها في تلاواته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، لأنَّ الآية تقول: ﴿ إِلاَ إِذَا تَمَنَّى ٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ ﴾ فعلىٰ حسب فهمكم: كلُّ تلاوة صدرتْ فإنَّ الشيطان يُلقي فيها على لسانه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، أو بين سكتاته ، فما هي تلك الإلقاءات التي ألقاها الشيطان عند تلاوة بقية الآيات؟؟ كلَّ لا هذه ولا غيرها.

الثالث: إنَّ ذلك مُنافِ للحِفْظ الإلهي الذي تكفَّل الله تعالى به أنْ يحفظ هذا القرآن ، فَإِن الله تعالى الذي قال: ﴿ إِنَّا نَحَنُ نَزَّلْنَا الذِّكُرُ وَإِنَّا لَمُ لَكَنِظُونَ ﴾ قد حفظه في الملأ الأعلىٰ في اللوح المحفوظ ، وحفظه في طرق نزوله على قلب سيدنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، وحفظه له تاماً كاملاً لا يذهب عنه شيء ولا ينسىٰ منه شيئاً؛ في صدره صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتى يبلِّغه تاماً سالماً ، فكيف يُتصوَّر لدىٰ العقول أَنْ يتخلَّىٰ سبحانه عن

حفظه من تلاعب الشياطين ومداخلاتهم في آخر مرحلة وأدقّ المواطن، وهي مرحلة تبليغه للناس، وتلاوته عليهم، حتى يحفظوه ويكتبوه، ويعتقدوا بعقائده، ويعملوا بأوامره، وينتهوا عن مناهيه؛ إلى آخر ما هنالك.

فإذا جاز أَنْ تجريَ عليه مشاغبات ومداخلات شيطانية في هذه المبرحلة الأخيرة ، التي هي المقصودة بالذات؛ إذا يكون قد ضاعت الحكمة في حفظه في المراحل الأولىٰ كلها.

الرابع: لقد كان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يَأْمر كَتَبة الوحي بكتابة القرآن النازل عليه فور النزول ، ولم يُرُو أنه راجعهم في تصحيح ما تلاه عليهم بأنه إلقاء من الشيطان ، فلو كان إلقاء الشيطان حال تلاوته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جائزاً لقال لِمَنْ حوله من الكَتَبَة: لا تكتبوا حتى أستوضح لكم الحق الرحمانيَّ من الباطل الشيطانيِّ ، ولنبههم فيما بعدُ على الإلقاء الشيطاني ، ليصححوا ما كتبوه ، ولم يَرِدْ شيء من ذلك ، كَلاً . بل كان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يتلو علىٰ الناس آيات الله تعالىٰ النازلة عليه عقب نزولها وآله وسلَّم يتلو علىٰ الناس آيات الله تعالىٰ النازلة عليه عقب نزولها للحفظ في الصدور ، ويأمر الكتبة بكتابتها لتحفظ في السطور .

وقد اتخذ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كُتَّابَاً لوحي القرآن هو اختارهم لذلك ، منهم الأربعة الخلفاء رضي الله تعالىٰ عنهم ، ومعاوية ، وأبان بن سعد ، وخالد بن الوليد ، وأُبَيُّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وحنظلة بن الربيع ، وغيرهم رضي الله عنهم . . فكانوا يكتبون القرآن فور نزوله علىٰ رسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بإتقانٍ وإحكامٍ ، واستيعاب كامل ، بحيث لا يُضَيِّعون منه حرفاً ولا كلمةً .

روى البخاري وغيره ، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أملىٰ عليه: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَاعِدُونَ مِنَ ٱللَّهِ مِنْ اللهُ عَلَيه وَآله وسلَّم أملىٰ عليه: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَاعِدُونَ مِنَ ٱللَّهِ مِنْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَالَ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللّه

فجاء ابن أم مكتوم وهو يمليها عليّ فقال: يا رسول الله: والله لو أستطيع الجهاد معك لجاهدتُ _ وكان أعمىٰ _.

فأنزل الله علىٰ رسوله ، وفخذه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ فخذي ، فَتَقُلَتْ عليَّ حتىٰ خفتُ أن تُرضَّ فخذي ، ثم سُرِّيَ عنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ غَيِّرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾.

أي: فكتبها كما جاء في رواية أحمد وأبي داود: فقال صلى الله عليه آله وسلم: «اكتب: ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾».

قال زيد: (أنزلها الله تعالىٰ وحدَها فألحقتُها بها ، فوالله لكأنّي أنظر إلىٰ ملحقها عند صدع كان في الكتف).

قَالَ ابن التين: يُقالَ إن جبريل عليه السلام هَبَطُ ورجَعَ قبل أن يَجِفَّ القلم ـ أي: قَلَمُ زيد ـ . ا هـ .

قال في (الدر المنثور): وأخرج ابن فهر في كتاب فضائل مالك ، وابن عساكر من طريق عبد الله بن رافع قال: قدم هارون الرشيد المدينة ، فوجّه البرمكيّ إلىٰ مالك وقال له: احمل الكتاب الذي صَنّفتَه ـ أي: الموطَّأ ـ حتىٰ أسمعه منك.

فقال مالك للبرمكي: أقرِئْه السلام وقل له: العالِم يُزار ولا يَزور ، وإن العِلْمَ يُؤتئ إليه ولا يأتي.

فرجع البرمكي إلى هارون الرشيد فَبَلَّغه وقال له: اعزم عليه

حتىٰ يأتيك ، فإذا بمالكِ قد دخل ـ علىٰ هارون الرشيد ـ وليس معه كتاب ، وأتاه مُسَلِّماً.

فقال مالك: يا أمير المؤمنين إنَّ الله تعالىٰ يُعزُّ هذا العلم ويجلُّه ، فأنتَ أحرىٰ أن تُعِزَّ وتجلّ عِلمَ ابن عمك _ أي: حديث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم _ ولم يَزل يعدّد عليه من ذلك حتىٰ بكىٰ هارون الرشيد ، ثم قال مالك:

أخبرنا الزهري عن خارجة بن زيد قال: قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: (كنتُ أكتب بين يدي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في كتفِ ﴿ لَا يَسْتَوِى ٱلْقَاعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجْهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وابن أم مكتوم عند النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فقال: يا رسول الله قد أنزل الله في فضل الجهاد ماأنزل، وأنا رجل ضرير فهل لي من رخصة؟

فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «لا أدري».

قال زید: وقلمي رطْبٌ ما جَفَّ ، حتى غُشي علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الوحي ، ثم جُلّي عنه ، فقال لي: «اكتب يا زيد: ﴿ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَدِ﴾»).

فيا أمير المؤمنين حرفٌ واحد بُعث به جبريل والملائكة عليهم السلام من مَسيرة خمسين ألف سنة ، حتى أنزل الله تعالىٰ على نبيه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، أفلا ينبغي لي أن أُعِزَّه وأُجِلَّه؟. ا هـ.

الخامس: لَو جاز وقوع قصة الغرانيق ، للاَهبَت الثقة من الكاتبين عنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، الذين يُملي عليهم فيكتبونها في الصحف ، بل لذهبت الثقة من المتلقين عنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، لأنهم حينئذ يقولون في أنفسهم: لَعلَّه أن يَنزل

بعد ذلك آيات تدل على مداخلة الشيطان فيما كتبناه ، أو تلقيناه منه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

السادس: يلزم من وقوع قصة الغرانيق أن للشيطان تَسلُطاً عليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في أهم الأمور وأكبرها ، وهي أمور الوحي عن الله تعالىٰ ، والتبليغ عن الله تعالىٰ ، في حين أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالإجماع هو معصوم من الشيطان ، ومن تسلطه عليه ، في جميع أموره وأحواله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ؛ ولا سيما في أمور الوحي والتبليغ عن الله تعالىٰ.

وإذا كان الشيطان لا سلطان له على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، فكيف يتسلط على إمام الأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين.

قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطُكُنُّ ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتُوَكَّوْنَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِـ يَتُوَكُّونَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِـ مُشْرِكُونَ﴾.

السابع: كَيف يصح أن يتمكَّن الشيطان من إلقائه في تلاواته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لآيات الله تعالىٰ ، في حين أنه كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم يتلو علىٰ الناس آيات الله تعالىٰ علىٰ وجه متَّصل مستمِرٌ ، وتلاوته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ الناس لها أسباب متعددة:

إمَّا من باب الإملاء عليهم ليكتبوا القرآن في الصحف ـ كما هو وظيفة الكتبة _.

وإمَّا مِنْ باب التبليغ لهم ، يُبلغهم ما أنزل الله تعالىٰ عليهم.

وإمَّا مِنْ باب تلقينهم وتعليمهم القرآن الكريم ، فإن تلاوة القرآن لا تُعرف إلا بالتلقِّي عنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فلذلك كان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُعلِّم الصحابة تلاوة الكتاب.

روى الإمام أحمد ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي قال: حدَّثنا مَنْ كان يُقرئنا من أصحاب النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: أنهم كانوا يقترئون من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عَشْرَ آياتٍ ، فلا يأخذون في العشر الأخرىٰ حتىٰ يعلموا ما في هذه العشر من العِلم والعمل ، قالوا: فَعَلِمنا العلم والعمل.

وَرَوىٰ مُحمد بن نصر ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كُنَّا إذا تَعَلَّمْنَا من النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عشراً من القرآن ، لم نتعلَّم العشر التي بعدها حتىٰ نعلم ما نزل في هذه من العمل).

ولم يَرُو أحد من الصحابة الذين أخذوا عنه القرآن أنه استدرك ما تلاه وقال: هذه من إلقاء الشيطان ، كلاً وحاشاه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، بل كثيراً ما كان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يتلو علىٰ الناس آيات الله تعالىٰ ، من باب الدعوة إلىٰ الإيمان والدخول في الإسلام.

وهذه التلاوة قد تكون على جموع كثيرة من المشركين وغيرهم، وقد تكون على أفراد، كما جاء في إسلام ابن مظعون وغيره، فإنهم أسلموا حين أسمعهم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كلام الله تعالىٰ، كما تقدم مفصلًا في بحث تأثير القرآن الكريم.

فإذا كان المفهوم من آية: ﴿ وَمَاۤ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولِ وَلَا نَبِيِّ

إِلّا إِذَا تَمَنَّى آلَقَى ٱلشَّيْطَنُ فِي آمْنِيَّتِهِ ﴿ إِذَا كَانَ يُفْهِمَ مِنْهَا أَنَّ الشيطانُ يُلْقِي فِي تلاوته على لسانه ، أو بين سكتاته ؛ إذا كان كذلك فيلزم منه أن جميع تلاواته بأسبابها المتعددة هي في معرض إلقاء الشيطان ، وأنه ألقىٰ فيها الشيطان ، لأن الآية علىٰ هذا الفهم تقول: ﴿ إِلّا إِذَا تَمَنَّى آلْقَى ٱلشَّيْطَنُ فِي آمُنِيَّتِهِ ﴾ أي: كلّما قرأ ألقىٰ الشيطان كلاماً من عنده علىٰ لسانه ، أو بين سكتاته ، إذاً كم تلاوة حصلت؟! ، وكم عنده علىٰ لسانه ، أو بين سكتاته ، إذاً كم تلاوة حصلت؟! ، وكم إلقاء شيطاني حصل؟! نعوذ بالله من هذا الفهم الباطل.

كما أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يتلو على الناس آيات الله تعالىٰ من باب الموعظة والتذكير لهم ، حتى بَلَغ الأمر ببعض الصحابة رضي الله عنهم ، أن حفظوا القرآن الكريم من كثرة سماعهم القرآن الكريم من النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (حفظتُ سبعين سورةً من فم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم).

ففي هذه التلاوات الكريمة التي تلاها صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، واستماع الصحابة إليه، وتَلَقِّيهم عنه، وكتاباتهم عنه، لم يَردْ عن واحد منهم أنه قال: قد صحح لنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، أو نَبَهنا إلىٰ أنَّ بعض الكلمات كانتْ دخيلة من قبَل الشياطين، أو جرىٰ فيها سهو، أو نحو لك، كَلاَّ لم يقع ذلك أصلاً.

الثامن: إذا كانَت قصة الغرانيق هي سبب نزول قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولِ وَلَا نَبِيِّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰۤ ٱلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِيَ أَمْنِيَّتِهِۦ﴾ الآية.

وإذا كان التمني في هذه الآية محمولًا على التلاوة ، وأن

الشيطان يلقي في أمنيته أي: تلاوة الرسول والنبي ما يلقيه ، وأن هذه الآية نزلت تسلية للنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا كان الأمر كذلك فإن الآية تقول: ﴿ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى آلْقَى ٱلشَّيْطَانُ ﴾ أي: كلما قرأ وتلا ألقىٰ الشيطان ما ألقاه ، فمعنىٰ ذلك أن كل تلاوة صدرت من الرسول سيدنا محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما خلت عن إلقاء شيطاني.

فإن زعمتم أن الشيطان ألقىٰ كلمة الغرانيق العلىٰ... إلخ في تلاوته صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم أول سورة النجم ، فما هي بقية الإلقاءات التي ألقاها الشيطان في بقية تلاواته صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم علىٰ الناس؟ ، فإن الذي نقل هذه ينقل تلك الإلقاءات أيضاً ، بل يلزم علىٰ ذلك أن ينقل إلقاءات كثيرة عن كثير من الصحابة ، لأن تلاوته صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم كانت علىٰ مسمع منهم ـ اللهم سبحانك هذا بهتان عظيم.

بل يقال لِمَنْ يزعم ويُجَوِّزُ تداخل الشيطان وإلقاءه في تلاوته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم علىٰ لسانه ، أو بين سكتاته يقال له:

وما يدرينا أن الآيات التي نزلتْ تَنْسخُ ما ألقاه الشيطان وتلاها صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، ما يدرينا أن الشيطان ألقىٰ فيها أيضاً ، لأنها من جملة ما يتلوه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ الناس ، وقد فسَّرتُم قوله تعالىٰ: ﴿ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى ٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي آمَٰنِيَتِهِ مِ فسرتموها بأن الشيطان يلقي علىٰ لسانه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حال تلاوته أو بين سكتاته ـ اللهم إني أبرأ إليك من هذا كله.

بل يلزم من ذلك أن جميع تلاوات الرسل والأنبياء على أممهم

كان الشيطان يلقي فيها من كلامه على ألسنتهم _أي: على ألسنة الرسل والأنبياء المتقدمين _ من آدم عليه السلام ، إلى نوح عليه السلام ، إلى الخليل إبراهيم عليه السلام ، إلى الكليم موسى عليه السلام ، إلى روح الله عيسى عليه السلام .

في حين أنه لم يُنقل شيء من ذلك ، لأنه لم يحصل شيء من ذلك ، فَإِنَّ طرق الوحي وتبليغه مصونة حصينة ، كما دلَّتْ على ذلك ، فَإِنَّ طرق الوحي وتبليغه مصونة حصينة ، كما دلَّتْ على ذلك الآية المتقدمة وهي قوله تعالىٰ: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسُلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ دَرَصَدًا ﴿ لِيَعْلَمُ أَنْ قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَلَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَالَدَيْمٍمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾.

ففي هذ الآية بيان عامٌ من الله تعالىٰ بحفظه وصيانته لوحيه النازل علىٰ رسله كلهم ، حتىٰ يبلغوا تلك الرسالات الإِلَهيَّة تامة سالمة كاملة ، كما أوحاها الله تعالىٰ إليهم.

فلو صحّت قصة الغرانيق لانتقض خبر الآية وَلَمَا تَحَقَّق مَعْنَاها ، بل لضاعت عصمة الأنبياء والمرسلين ، إذا كان الشيطان يلقي الكفر على ألسنتهم ، ويَسمعه الناس من لسان كل رسول ونبي ، فإن النطق بقصة الغرانيق هو كفر صريح.

فإن قيل: إن الشيطان ألقىٰ ذلك في آذان السامعين.

قُلنا: هذا مردود أيضاً ، لأنه يؤدِّي إلى الالتباس بين وحي الرحمن وإلقاء الشيطان ، في مقام الهَدْي والدعوة للإيمان ، فيبلَّغ الناس وحيَ الله تعالى متلبساً بإلقاء الشيطان ، فيزدادون ضلالا وحيرة ، بدلاً من أن يهديهم ويخرجهم من ظلمات جهلهم وحيرتهم.

التاسع: ويقال لِمَنْ جعل قضة الغرانيق سبباً لنزول آية: ﴿ وَمَا آرَسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولِ وَلَا نَبِيَ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى آلْقَى ٱلشَّيْطَنُ فِي آَمْنِيَتِهِ ﴾ وَيفسر ذلك بأن الشيطان يُلقي كلاماً من عنده على لسان الرسول ، ثم يُنزل الله تعالى آيات تَنسخ ما ألقاه الشيطان على لسان الرسول أو بين سكتاته ، يقال لِمَنْ يزعم ذلك:

إن الآية تقول: ﴿ وَمَا آرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولِ وَلَا نَبِيّ ﴾ ومِنَ الله على الله تعالىٰ الله تعالىٰ يعمل به وأُمِر بتبليغه للناس.

وأما النبي فهو إنسان أُوحِيَ إليه بشرع يَعْمل به ، ولم يُؤمر بتبليغه ، فما هو مقصود الشيطان من إلقائه كلاماً من عنده على لسان ذلك النبي إذا تلا ما أوحاه الله تعالى إلى رسول قبله؛ أو في زمنه ، فإن قصد الشيطان التلبس على نفس النبي ، فالنبي معصوم يَعْرف ويُميِّز بين كلام الرحمن وكلام الشيطان ، وإنْ قصد الشيطان التلبيس على السامعين ، فإن النبي ليس مأموراً بتبليغه للناس حتى التلبيس الشيطان على السامعين منه ، بل ربما قرأ ذلك لنفسه منفرداً عن الناس.

ثم إن من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مَنْ كان مأموراً أن يعمل بكتابٍ أنزل على رسولٍ قبله ، فهل كان هذا النبي الذي يعمل بكتاب رسول قبله ، هل كان إذا تلا آيات ذلك الكتاب يلقي الشيطان في تلاوته؟.

وإذا كان الشيطان يُلقي في تلاوته فيلزم من ذلك _بناء على زعمكم_ أنْ تتنزل آيات تنسخ ما يُلقي الشيطان أيضاً ، حتى يَرفع

الريبة من قلوب السامعين الذين تلاه عليهم ، وحينئذ يلزم ذلك النبيّ أن يُلحق تلك الآيات بالأصل ، أي: بأن يلحق الآيات النازلة في نسخ ما ألقاه الشيطان بالأصل النازل على الرسول قبله ، لأنها كلها نازلة بالوحي من الله تعالىٰ ، وأيضاً لا بد حينئذ من أن تنزل آيات تنسخ ما ألقاه الشيطان ويتلوها ذلك النبي على الناس ، حتى لا يبقى في قلوبهم ريبة ، في حين أنه نبي مأمور باتباع رسول قبله ، فيلزم منه أن كل نبي عمل بكتاب رسول قبله أن يزيد فيه ما أنزل عليه ناسخاً لما ألقاه الشيطان ، وربما عمل بكتاب الرسول ما أنزل عليه ناسخاً لما ألقاه الشيطان ، وربما عمل بكتاب الرسول والحق الواقع أنه لَمْ يقع شيء من ذلك قطعاً ، بدليل أنه لَمْ يُنقل والحق الواقع أنه لَمْ يقع شيء من ذلك قطعاً ، بدليل أنه لَمْ يُنقل شيء من ذلك عن الرسل ولا عن الأنبياء صلوات الله تعالىٰ عليهم ، مع كثرة وتكرار تلاواتهم آيات الله تعالىٰ على العباد.

العاشر: إذا كانت قصة الغرانيق ثابتة على الصورة التي نقلت ، وأنها كانت سبباً لنزول آية: ﴿ وَمَا آرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولِ وَلانبِي وَانها كانت سبباً لنزول آية: ﴿ وَمَا آرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلانبِي إِلاّ إِذَا تَمَنَى اللّهُ اللّهَ اللّه الله الله الله الله والنبيين السابقين فكيف كانت إلقاءات الشيطان في تلاوات الرسل والنبيين السابقين على قومهم ، هاتوا قصة واحدة ثابتة تُبيِّن أن الشيطان ألقى في تلاواتهم نظير إلقاء قصة الغرانيق أو نحوها ، أو أيَّ قصة ألقاها الشيطان في تلاوات أولئك الرسل والأنبياء ، فإنه لم يُسمع شيء الشيطان في كتاب نزل من الكتب المتقدمة ، ولا عن بني إسرائيل من ذلك في كتاب نزل من الكتب المتقدمة ، ولا عن جلف قط.

الحادي عشر: إنَّ أسانيد قصة الغرانيق لا يَثبت بها العِلْم ، ولا تعطي قوة التصديق والجزم ، وإن الله تعالىٰ يَقُول: ﴿ وَلَا لَقُفُ

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمُ ﴾ أي: لا تتبع ما لا يوجب العلم اعتقاداً كهذه القصة ونحوها.

ثم يحذر سبحانه من متابعة ما لا يوجب العلم فيقول: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَكِيكَ كَانَ عَنْهُ مَسْعُولًا ﴾.

ولقد كان أصحاب النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يقبلون حديثاً لم يسمعوه من النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلا بعد التثبت والتبين.

فهذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسمع حديث الاستئذان من أبي موسى الأشعري رضي الله عنه فيطالبه بمن يشهد له بذلك كما جاء في الصحاح.

روى الإمام البخاري، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنّه مذعور - أي: خائف - فقال: استأذنتُ على عمر ثلاثاً فلم يُؤذَن لي فرجعت فقال - أي: فخرج عمر بعد ذلك فقال لأبي موسى -: مَا مَنَعك؟

قال: استأذنت ثلاثاً فَلْم يؤذن لي فرجعت ، وقال رسول الله صلَّئ الله عليه وآله وسلَّم: "إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع».

فقال عمر: والله لتقيمن عليه _ أي: الحديث الذي حدثتني به _ بَيِّنة ، أَفيكم أحد سمعه من النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟.

فقال أبي بن كعب ـ لأبي موسىٰ ـ: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم.

قال أبو سعيد: فكنتُ أصغر القوم ، فقمتُ معه فأخبرت عمرَ أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال ذلك).

الثاني عشر: إنَّ قصة الغرانيق إذا سمع المسلم ذو الفطرة السليمة ، إذا سمع نسبتها إلى رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، يضيق لها صدره ، وتشمئز نفسه منها ، وينكرها قلبه ، وهذا من علامات وضعها وكذبها علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فإنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علَّمنا هذه العلامات الفارقة بين الثابت عنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والمفترىٰ عليه.

فقد روى الإمام أحمد وأبو يعلى والبزار ، عن أبي أسيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم ، وتلين له أشعاركم وأبشاركم ، وترون ـ أي: تعلمون ـ أنه منكم قريب؛ فأنا أولاكم به.

وإذا سمعتم الحديث عني تُنكره قلوبكم ، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه بعيد منكم؛ فأنا أبعدُكم منه (١).

ولكن هذه العلامة الفارقة لا يُدركها إلا ذو الفطرة السليمة ، والقلب السليم ، المنوّر بنور من الله تعالىٰ ، كما قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لحارثة: «عبدٌ نَوَّر اللهُ قلبه».

قال الحكيم الترمذي: وهذا _ أي: إدراك الفارق بين الحديث

⁽١) قال الحافظ الهيثمي: رجاله رجال الصحيح كما في ١/١٥٠، وقد رمز في (الجامع الصغير) إلى صحته.

والأشعار جمع شَعر ، والأبشار جمع بَشرة ، وهي: جلد بدن الآدمي ، وسمي بَشَراً لأنه بادي البشرة غير مستورها بشعر كما في الحيوانات.

الثابت والمفترئ _ في الكامل _ أي: في الرجل الكامل بعلمه وعمله وورعه _.

أما المخلط المكبُّ على الشهوات، المحجوب عن الله تعالى ، فليس هو المعنيُّ بهذا الحديث ، لأن صدره مظلم ، فكيف يَعرف الحق ، فالمخاطب بذلك مَنْ كان طاهر القلب ، عَارفاً بالله حقَّ معرفته ، الذي تزول الجبال بدعائه. اه.

وأخرج ابن سعد عن الربيع بن خيشم أنه قال: (إن من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار تعرفه) أي: وهذا هو الحديث الثابت عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، لأن عليه كسوة القلب الذي خرج منه وهو نور النبوة.

قال: (وإن من الحديث حديثاً له ظلمة كظلمة الليل تنكره). ا هـ. أي: وهذا هو الحديث المفترئ علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، عَلَيْهِ ظلمة القلب الذي خرج منه.

قال العلاَّمة المناوي عند هذا الحديث: ولذلك جزم أئمتنا الشافعية ، بأن كلَّ حديث أوهم باطلاً ، ولم يقبل التأويل ، فمكذوب عليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لعصمته. اهـ.

الثالث عشر: إنَّ كثيراً من محققي المفسرين والمحدثين وأولي العلم والمعرفة ، قد أنكروا قصة الغرانيق ، وبيَّنوا أنها مكذوبة وموضوعة ، كبقية الأحاديث الموضوعة .

فقد قال العلامة المفسِّر أبو حيَّان في (البحر المحيط):

قال: وهي _أي: قصة الغرانيق _ قصة سُئل عنها الإمام

مُحمد بن إسحاق جامع السيرة النبوية فقال: هذا مِنْ وَضْعِ الزنادقة ، وصنَّف في ذلك كتاباً.

قال: وقال الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، وقال ما معناه: إنَّ رواتها مطعون عليهم ، وليس في الصحاح ، ولا في التصانيف الحديثية شيء مما ذكروه ، فوجب اطراحها.

قال: ولذلك نَزَّهْتُ كِتابي عن ذكرها فيه ، والعجب ممن نَقَل هذا ، وهم يتلون في كتاب الله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُرُ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنِطِقُ عَنِ ٱلْمُوَىٰ ۞ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحَىُ يُوحَىٰ ﴾.

وقال الله تعالىٰ آمراً لنبيه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿ قُلُ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَبُدَلِهُ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيَّ إِنْ أَتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَى ۗ ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ نَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿ لَاَ خَذْنَا مِنْهُ بِٱلْمِمِينِ ﴾ .

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُبَنَّنَكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْتًا قَلِيـالَّا﴾ أي: ولكن ثبتناك فلم تركن إليهم أبداً.

قال: فالتثبيت واقع ، والمقاربة مَنْفِيَّةُ.

وقال تعالىٰ: ﴿ كَلَالِكَ لِنُثَيِّتَ بِهِۦفُؤَادَكُّ ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿ سَنُقُرِئُكَ فَلَا تَنسَيَّ﴾.

وهذه نصوص تشهد بعصمته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قال: وأمَّا من جِهَة المعقول: فلا يمكن ذلك ، لأن تجويز ذلك يُودِّي إلى تجويزه في جميع الأحكام والشريعة ، فلا يُؤمن فيها التبديل والتغيير ، واستحالة ذلك معلومة.

قال: ولو جوزنا ذلك لما تحقق قوله تعالىٰ: ﴿ ﴿ يُتَأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِكُ وَإِن لَّمْ تَفْعَلَ فَا بَلَغْتَ رِسَالَتُهُ ﴾ أي: فلم يكن صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عاملاً بالآية ، إذ العمل بها تبليغ ما أنزل الله ، فلو زاد _ تلك الغرانيق _ لانتفىٰ التبليغ ، فَإِنَّه لا فرق بين النقصان من الوحي والزيادة فيه . ا هـ (١)

وقال الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالىٰ في كتاب (حصص الأتقياء): الصواب أنَّ قوله: تلك الغرانيق العُلىٰ ، من جملة إيحاء الشيطان إلىٰ أوليائه من الزنادقة ، حتى يُلقوا بين الضعفاء وأرِقًاء الدين ، ليرتابوا في صحة الدين - أي: وليكبسوا عليهم دينهم -.

قال رحمه الله تعالى: وحضرة الرسالة بريئة من مثل هذه الرواية. اهـ (٢).

وَقَدْ بَيَّن الإِمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالىٰ أَنَّ هذه القصة باطلة موضوعة ، ولا يجوز القول بها.

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْمُوَكَىٰ ۚ إِنَّا هُوَ إِلَّا وَحْمُنَّ يُوحَىٰ ﴾ .

وقال تعالىٰ: ﴿ سَنُقُرِثُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴾ .

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى في ردِّ هذه القصة من جهة الرواية ، قال: يكفيك أَنَّ هذا حديث لم يُخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل ، وإنما أُولِعَ به وبمثله

⁽١) انظر تفسير (البحر المحيط) و(المواهب مع شرحها) ملخصاً.

⁽٢) انظر تفسير الألوسي.

المفسِّرون والمؤرِّخون المُولَعون بكل غريبٍ، المتلقِّفون من الصحف كلَّ صحيح وسقيم.

قال رحمه الله تعالىٰ: ولقد صدق القاضي أبو بكر بن العلاء المالكي حيث قال: لقد بُلِي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعلَّق بذلك المُلحِدون، مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، واختلاف كلماته:

فقائل يقول: إنه _ صلَّىٰ الله عليه وأله وسلَّم _ قال ذلك في الصلاة.

وآخر يقول: قالَها في نادي قومـه.

وآخر يقول: قالَها وقد أصابتُه سِنـةٌ.

وآخر يقول: بل حدَّث نفسَه فَسَـهَـا.

وآخر يقول: إن الشيطان قال علىٰ لسانه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وإن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لما عرضها علىٰ جبريل قال: ما هكذا أقر أتُك.

وآخر يقول: إن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم لم يَقُلها ، بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قالها ـ إلىٰ غير من اختلاف الرواة. ا هـ.

وقد نقل العلامة الشهاب في (شرح الشفاء) عن ابن سيد الناس أنه قال: بلغني عن الحافظ المنذري أنه كان يردُّ هذا الحديث من جهة الرواية بالكلية.

أي: كان يرد حديث الغرانيق بجميع رواياته المتناقضة.

قال: وفي (سيرة) مغلطاي: حديث أن الشيطان ألقاه في أمنيته كما ذكر الكلبي هو مردود الرواة ، عن باذان عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال مغلطاي: وقد قالوا _أي: المحققون _: إنه باطل نقلاً وعقلاً. اهـ.

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: وأمَّا تُوهين حديث الغرانيق من جهة المعنى: فقد قامت الحُجة ، واجتمعت الأمة على عصمته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ونزاهته من مثل هذه إلخ.

وأتىٰ بما فيه الحجة القاطعة علىٰ كذب هذه القصة.

وما أحسن جواب العلامة الكبير ، العارف بالله تعالى الشيخ عبد العزيز الدباغ _نفعنا الله تعالىٰ بعلومه وعلوم أهل الله تعالىٰ أجمعين _حيث قال حين سئل عن قصة الغرانيق.

فأجاب رضى الله عنه قائلًا:

ما وقع للنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شيءٌ قَطُّ في مسألة الغرانيق، فإنَّه لو وقع شيء من ذلك للنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لارتفعت الثقة بالشريعة، وبَطَل حكم العصمة، وصار الرسول كغيره من آحاد الناس، حيث كان للشيطان سلاطة عليه وعلىٰ كلامه، حتى يَزيد في ما لا يُريده الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولا يحبه ولا يرضاه، فأيُّ ثقةٍ تبقىٰ في الرسالة مع هذا الأمر العظيم.

ولا يُغني في الجواب: أن الله تعالىٰ ينسخ ما يُلقي الشيطان ويُحكم آياته ، لاحتمال أن يكون هذا الكلام من الشيطان أيضاً ،

لأنه كما جاز أن يتسلُّط على الوحي في مسألة الغرانيق بالزيادة ، كذلك يجوز أن يتسلُّط على الوحى بزيادة هذه الآية برمَّتها فيه.

وحينئذ فيتطرَّق الشك إلىٰ جميع آيات القرآن.

والواجب على المؤمن الإعراض عن مثل هذه الأحاديث ، الموحية لمثل هذا الريب في الدين ، وأن يضربوا بوجهها عُرضَ الحائط ، وأن يَعتقدوا في الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما يَجب من كمال العصمة ، وارتفاع درجته عليه الصلاة والسلام إلىٰ غاية ليس فوقها غاية .

ثم على ما ذكروه في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَمَا آرْسَلُنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولِ وَلَا نَبِي إِلَا إِذَا تَمَنَّى آلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ ﴾ الآية ، يقتضي أن يكون للشيطان تسلّط على وحي كلِّ رسول رسول ، وكل نبي نبي ، زيادة على تسليطه على القرآن العزيز ، لقوله تعالى: ﴿ مِن رَّسُولِ وَلَا نَبِي إِلَّا إِذَا تَمَنَّى آلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي الْعَزِيز ، لقوله تعالى: ﴿ مِن رَّسُولِ وَلَا نَبِي إِلَّا إِذَا تَمَنَّى آلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي الْعَزِيز ، لقوله تعالى: ﴿ مِن رَّسُولِ وَلَا نَبِي إِلَّا إِذَا تَمَنَّى آلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي الْعَزِيز ، لقوله تعالى: ﴿ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِي إِلَّا إِذَا تَمَنَى آلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي الْعَرِيز ، لقوله تعالى: ﴿ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِي إِلَا إِذَا تُمَنَّى آلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ا

فاقتضت الآية على تفسيرهم أنَّ هذه عادة الشيطان مع أنبياء الله تعالىٰ ، وصفوته من خلقه ، ولا ريب في بطلان ذلك. ا هـ.

* * *

تَفْسِيْرُ الآيةِ الكريمة كَمَا دَلَّ عَلَيْه الكتابِ والسُّنة

قال عبد الله: وقد يقول القائل: فما معنى الآية الكريمة على الوجه الصحيح المدلول عليه بالكتاب والسنَّة.

فالجواب عن ذلك لا بدَّ له من مقدِّمة تمهِّد سبيل الوصول إلى المعنى الصحيح، وبها ينجلي الصباح، ويُشرق نور الحقِّ الوَضَّاح.

فأقول مستعيناً بالله تعالى، ومستلهماً منه الصواب في الجواب:

إنَّ اعتبار معاني الآيات القرآنية بالآيات السابقة عليها واللَّحقة لها ، ومراعاة المناسبة بينها وبين ما لديها وما خلفها ، ذلك أمر هامٌ لا بدَّ منه في فهم معاني الآيات القرآنية ، وما يُراد منها.

فهذه الآية الكريمة وهي: ﴿ وَمَاۤ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولِ وَلَانَبِيّ إِلَّاۤ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ عَلَىٰسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَانُ ﴾ الآية.

هذه الآية الكريمة سبقتها آيات متناسبة معها ، ولحقتها آيات تابعة لها ، ونحن نذكر تلك الآيات كلها ليتّضح المعنى .

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَاۤ أَنَاْ لَكُوْ نَذِيرٌ مَّ بِينُ ۞ فَٱلَّذِينَ اَسَعُواْ فِ عَالِكِنَا وَعَجِلُواْ ٱلصَّلِحَتِ لَهُمُ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقُ كَرِيمٌ ۞ وَٱلَّذِينَ سَعَواْ فِ عَايدِتنا مُعَجِزِينَ أُولَيْهِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِي مُعَجِزِينَ أُولَيْهِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِي

إِلّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَنُ فِي أَمْنِيْتِهِ فَينسَخُ اللهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَنُ ثُمَّ فَيْ اللهِ عَلِيمُ مَرَيهُ مَا يَلْقِى الشَّيْطَنُ فِتْنَةً لِيَحْكِمُ اللهُ عَلِيمُ مَرَكُ وَاللهُ عَلَيهُ مَرَكُ الطَّلِمِينَ لَفِي شِقَاقِ لِللَّذِينَ فِي قَلُوبُهُمْ وَإِن الطَّلِمِينَ لَفِي شِقَاقِ بَعِيدٍ فَي وَلِيعْلَم اللَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِ عَلَيْ مَنْ اللهُ لَهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَنْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْهُ مَا اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُلّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ

فقد أمر الله تعالى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم أَنْ يبلغ رسالة ربه ، ويدعو عباد الله تعالى إلى الإيمان ، ويُعلن لهم أنه النذير المبين حيث قال له: ﴿ قُلْ يَكَأَيُّهُا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا آَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ أي: مُبِينٌ الإنذار كل البيان ، لِما جاء به من الحجة والبرهان.

فكانت النتيجة: منهم من استجاب وآمن به صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعمل صالحاً فله البشارة في قوله: ﴿ فَٱلَذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ وَعَمِلُواْ السَّلِاحَاتِ لَهُمُ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقُ كُرِيمٌ ﴾.

ومنهم من كذب بالحق الذي جاء به النذير المبين ، كما أخبر الله تعالىٰ عنهم بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوّا فِي ٓ اَيكِتِنا ﴾ أي: في ردِّ وإنكار آياتنا ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ أي: معارضين للحق ومعاندين من بعد ما تبين لهم ﴿ أُوْلَيْهِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ ﴾.

وهؤلاء كما وصفهم الله تعالىٰ: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّيالِمِينَ بِنَايَدِتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

وقال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَّبُوا ﴾ أي: بالحق ﴿ وَأَتَّبَعُوا أَهُوآءَهُمَّ ﴾ أي: الباطلة ، لأنه ماذا بعد الحق إلا الضلال؟!.

وقال تعالىٰ: ﴿ يَعْرِفُونَهُ كُمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمٌّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْنُمُونَ ٱللَّاتَ هُمٌّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكُنُمُونَ ٱللَّاتِ الكريمة.

ومع هذا العناد الصادر مِنْ كَفَرةِ العباد ، ومع هذا الجحود بعد ظهور الحق ، فلقد كان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حريصاً على هدايتهم وإسلامهم ، كما قال تعالىٰ: ﴿ إِن تَعْرِصْ عَلَىٰ هُدَنهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ﴾ ، وقال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ جَآءَ كُمْ رَسُولُ مِن يَضِلُ ﴾ ، وقال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ جَآءَ كُمْ رَسُولُ مِن يَضِلُ ﴾ ، وقال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ جَآءَ كُمْ رَسُولُ مِن يَضِلُ ﴾ ، وقال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ جَآءَ كُمْ رَسُولُ مِن يَضِلُ ﴾ ،

فجاء صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم حَريصاً على هداية الأمة ، ناصحاً لهم ، أميناً ، يَسُرُه أن يُسلموا ويستجيبوا لدعوته ، ويُحبُ منهم أن يَهتدوا بهديه ، ويفرح بذلك ، وكان صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم يَحزن حزناً شديداً لإعراضهم وإبائهم وكفرهم ، ويضيق لذلك ، صدره ، ويشتد عليه ، ويكبر عليه إعراضهم ، فكانت الآيات الكريمة تنزل مُسلّية له ، ومخفّفة عنه ، فيقول سبحانه لحبيبه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: ﴿ فَلَا نَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْمٍ حَسَرَتٍ إِنَّ الله عَلَيْم حَسَرَتٍ إِنَّ الله عَلَيْم حَسَرَتٍ إِنَّ الله عَلَيْم حَسَرَتٍ إِنَّ الله عَلَيْم مَا يَصْبَعُونَ ﴾ .

ويقول: ﴿ لَعَلَكَ بَلَخِمُ نَفْسَكَ أَلَا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۞ إِن لَشَأَ نُنُزِلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَلَيْهُ فَظَلَّتَ أَعْنَكُ لُهُمْ لَمَا خَبِضِعِينَ ﴾ .

ويقول: ﴿ وَلَقَدْ نَعَلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدَّرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾.

ويقول: ﴿ وَأُصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَصْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَا يَمْكُرُونَ﴾.

ويقول: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾ أي: صعب واشتد ﴿ فَإِنِ السَّمَا فَي السَّمَا فِي السَّمَا فَي اللهُ اللهُ

لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَئُ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَهِلِينَ ﴿ .

كل هذه الآيات تدل على شدة حبه صلّى الله عليه وآله وسلّم هدايتَهم، وحرصه على إسلامهم، كما تدل على شدة حزنه، وأسفه وضيق صدره لإعراضهم وتكذيبهم؛ بعد ما تبيّن لهم الحق، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايكتِنا مُعَجِزِينَ أُوْلَتِكَ أَصْحَابُ ٱلجُحِيمِ ﴾ فهم قوم عرفوا الحق وجحدوه وعارضوه، فأنزل الله تعالى تسلية لحبيبه الأكرم، وتخفيفاً عنه شدة الحزن والأسى فقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولِ وَلَا نَجِي إِلّا إِذَا تَمَنَى آلْقَى الشَّيطَانُ فِي أَمْنِيتَهِه، وأماني الرسل والأنبياء وبُغيتهم أن يؤمن قومهم، فيلقي الشيطان في أُمنيته.

والمعنى: وما أرسلنا من رسول صاحب كتاب وشريعة ، ولا نبي يَعمل بشريعة رسول قبله ، إلا إذا تمنى _ أي: أحب وود ولا نبي يَعمل بشريعة رسول قبله ، ألقى الشيطان في قلوب بعض أن يهتدي قومه ويؤمنوا بما جاء به ، ألقى الشيطان في قلوب بعض السامعين ما يحول دون تحقق أمنيته من شبهات باطلة ، وإشكالات فاسدة ، ليصرف قلوبهم عن الاستجابة والإيمان بما جاءهم به رسولهم أو نَبِيهم .

سواء قلنا إن المراد بالأمنيَّة التمنِّي والمودَّة للاستجابة ، أو المراد بأمنيته التلاوة ، فحين يتلو ذلك الرسول أو النبيُّ آيات الله تعالىٰ علىٰ قومه: يُلقي الشيطان في قلوب بعض السامعين الشبهات الضالَّة ، ويشوِّش عليهم بوساوس وشكوك ، فيصدُّهم عن الاستجابة والإيمان الذي هو ما يتمنَّاه ذلك الرسول والنبي صلوات الله تعالىٰ علىٰ نبينا وعليهم أجمعين .

فينسخ الله ما يُلقي الشيطان في قلوب السامعين ، بأن يُزيلها ويمحق أثرها ﴿ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايُنتِهِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: يثبت

تلك الآيات ويمكنها في قلوب المؤمنين ، بأن يتابع بعدها آياتٍ وآياتٍ فيها إبطالٌ لتلك الشبهات والضلالات والشكوك التي ألقاها الشيطان ، ويزيلها بالأدلَّة القرآنية القاطعة.

ثم إن الله تعالىٰ بَيَّن نتيجة ما يُلقي الشيطان في قلوب السامعين فقال:

﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلِقِي ٱلشَّيْطَنُ فِتْنَةَ لِلَّذِينَ فِي قَلُوبِهِم مَّرَضُ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمُّ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلْآيِنَ ٱلْقَالِمَةِ قُلُوبُهُمُ اللَّذِينَ ٱلْقَالِمَ اللَّهِ الْمَ الْحَقُّ مِن تَقِيكَ فَيُوْمِنُواْ بِهِ وَقَدُّمِتَ لَهُ قُلُوبُهُمُ أَولِنَّ ٱللَّهَ لَهَا و ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِلَى صِرَطِ مِن تَقِيكِ فَي قَيْمُ مِنُواْ بِهِ وَقَدُّمِتَ لَهُ قُلُوبُهُمُ أَولِنَّ ٱللَّهَ لَهَا و ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِلَى صِرَطِ مِن تَقِيعِ ﴾.

فلما سمعوا الآيات القرآنية من النبي صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم ، ألقى الشيطان في قلوبهم أساطير الأولين ، فتكلَّموا بما ألقىٰ في قلوبهم.

وقال تعالى مخبراً عنهم حين سمعوا القرآن من النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿ وَقَالُواْ اَسْطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَبَهَا فَهِى تُمُلَىٰ عَلَيْهِ بُكَرَةً وَأَصِيلًا ﴾، فردَّ الله تعالىٰ عليهم ذلك ، وأحكم آياته فقال: ﴿ قُلْ أَنزَلُهُ ٱلنِّرَ فِي ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَّحِيًا ﴾.

وردَّ عليهم بأنه أميُّ لم يقرأ ولم يكتب، فكيف يكتبها؟ قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا كُنتَ لَتَـٰلُواْ مِن فَبْلِهِ، مِن كَئِنْ وَلَا تَخُطُّلُو بِيَمِينِكَ إِذَا لَآزَتَابَ الْمُبْطِلُونِ ﴾ في حين أنه هو النبيُّ الأمي لم يكتب ولم يقرأ كتاباً.

وردَّ الله تعالى عليهم تلك الشبهات في آياتٍ كثيرة.

ومن جملة ما ألقىٰ الشيطان في قلوبهم: أن هذا القرآن من قبيل السحر ، وأنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ساحر ، وأنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شاعر ، وهذا كلام متناقض.

قال تعالىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّنُرَبُّصُ بِهِ-رَيِّبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ .

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا لُتُلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَنَئْنَا بَيْنَتِ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَاذَاسِحْرٌ ثُمْبِينٌ﴾.

ثم ألقىٰ الشيطان في قلوبهم حين سمعوا القرآن من النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وما فيه من أخبار القيامة ، فاستبعدوا ذلك وعجبوا ووصفوه بالجنون.

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَنْرِهِمْ لَنَّا سَمِعُواْ الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَتَجْنُونَكُ ﴾ .

وقد ردًّ الله عليهم وأحكم آياته وقال: ﴿ مَاۤ أَنَتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونِ﴾

بل أنت يا محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لك العقل الأكمل ، فإنَّ الله تعالىٰ أَنعم عليك بالنبوَّة والرسالة العامَّة ، وإنزال هذا القرآن عليك ، ولا بدَّ لهذا كلِّه أن يلقىٰ عقلاً كبيراً ، وفهماً قويَّاً ، وذكاءً بليغاً.

كما ألقى الشيطان في قلوبهم حين سمعوا القرآن من النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وقد عرفوا أن هذا القرآن ليس بكلام بشر، وقد عَرَفوا أيضاً صدق رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولكن الشيطان ألقىٰ في قلوبهم من باب المعاجزة والمعاندة، أن يطلبوا منه إحضار آبائهم الأموات ليشهدوا له.

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا نُتُلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَئُنَا بَيِّنَتِ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُواْ اَتْتُواْ عِنَابَآيِنَاۤ إِن كُنتُمُّ صَلِدِقِينَ﴾.

كما ألقىٰ الشيطان ذلك في قلوب الجاحدين قبلهم ، وقد ألقىٰ الشيطان في قلوبهم ليصدهم عن الإيمان؛ ألقىٰ عليهم شبهة فاسدة وهي نزول هذا القرآن علىٰ سيدنا محمد بن عبد الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، ولم ينزل علىٰ رجلٍ من القريتين عظيمِ عندهم.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِلَ هَلْذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلِ مِّنَ ٱلْقَرْبَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ نَعَمْ والله لقد نزل القرآن الكريم على رجل عظيم ولا أعظم منه رجلاً؛ ولا أكمل منه خَلْقاً وخُلُقاً ، ولا أكبر منه عقلاً ، ولا أذكى منه فهماً؛ ألا وهو سيدنا محمد بن عبد الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، ولكنهم أرادوا بالقريتين مكة والطائف ، وبالرجل العظيم عندهم في نظرهم قيل: هما الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي ، وقيل: الوليد بن المغيرة ، وابن عبد ياليل بالطائف.

كما ألقىٰ الشيطان في قلوبهم حين كانوا يسمعون القرآن من

النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، أنهم خير مقاماً في المجتمع وأحسن نديًّا ، فلو كان هذا القرآن حقاً لكانوا أحق به في زعمهم:

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا نُتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَئْتَنَا بَيِّنَتِ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُولْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَ يْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

فَرأُوا أَنهم أرفع منزلةً وأعلى مقاماً ، لأنهم أكثر مالاً وأكثر جمعاً ، وهكذا ادَّعوا لأنفسهم ، وقد ردَّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿ وَكُواَهُ لَكُنَا فَبَلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمَ أَحْسَنُ أَثَنَا وَرِءْ يَا ﴿ قَلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدُ لَهُ الزَّمْنَ ثُمَا أَهُ الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدُ لَهُ الزَّمْنَ ثُمَا أَهُ .

أي: فلا عبرة لمظاهر الدنيا ، ولا قيمة لأموالها وحُطامها عند الله تعالىٰ ، حتىٰ تستنزل عليهم الوحي من الله تعالىٰ .

ومن ذلك قول قوم نوح لَما تلا عليهم وحي الله تعالىٰ ، قالوا: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَنْفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾.

وَقَوْمُ شعيب قالوا: ﴿ يَنشُعَيْبُ أَصَلَوْتُلَكَ تَأْمُرُكَ أَن نَتُرُكَ مَا يَعَبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ الآية.

الصنف الثاني: وهناك صنف أخبتت قلوبهم للآيات التي تُلِيتُ عليهم واطمأنت، ولم تتردَّد، ولم تُؤثِّر عليها الشكوك والوساوس، لأنها علمت أنَّ الآيات حق ثابت بالأدلة الساطعة، والبراهين القاطعة، فآمنتْ عَن علم جازم بحقِّيَّة تلك الآيات، وحقِّيَّة نبوة النبي ورسالته وصدقه، دون ارتياب ولا شك.

فَهُم عقلاء فطناء ، علموا الحق بالدليل الحق فآمنوا به قطعاً ، وهؤلاء هم الذين أشار الله تعالى إليهم بقوله: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُواْ اللهِ تعالى إليهم بقوله: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُواْ اللهِ الل

وكيف لا يؤمنون بتلك الآيات ، وبصدق الرسول الذي تلا عليهم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وقد علموا علماً جازماً أنه صادق، وما جاء به فهو حق ، لا يحتمل التردُّد ولا الشك ، كما وصفهم سبحانه بقوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَى آعَيُنَهُمُ وَصفهم سبحانه بقوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَى آعَيُنَهُمُ وَصفهم سبحانه بقوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَى آعَينَهُمُ وَصفهم سبحانه بقوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَى آعَينَهُمُ وَمَا جَآءَنا مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنا وَاللَّمَ اللهُ وَمَا جَآءَنا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَظَمَعُ أَن يُدَخِلَنا رَبُنا مَعَ ٱلْقَوْمِ الصَّلِحِينَ ﴾.

وهذا نظير قوله تعالى في الذين آمنوا برسول الله صالحاً، وقد انتقدهم الجاحدون للحق ، قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلاُ اللَّذِينَ السّتَكُمْ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى المعرضون عن قبول الحق كِبراً ، قالوا: ﴿ لِللَّذِينَ السّتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعَلَمُونَ أَنَ صَلِحًا مُرْسَلُ مِن رّبِّدِ أَن الله على علم جازم بحقيّة نبوة صالح ورسالته ؟ مِن رّبِدٍ أي: هل أنتم على علم جازم بحقيّة نبوة صالح ورسالته ؟ وهل ثبت عندكم هذا بالدليل؟ أم أُخِذتُم على غرّة وغفلة ؟ ﴿ قَالُوا إِنّا بِمَا أَرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ أي: قد علمنا صدقه وحقية رسالته وما جاء به علماً جازماً لا يحتمل الشك ، ولذلك آمنا به إيماناً قاطعاً.

ومن ذلك قول بلقيس لما أعلنتْ إسلامها وإيمانها برسول الله سليمان ، كما أخبر الله تعالى عنها بقوله: ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنّا مُسْلِمِينَ ﴾ (١) _ أي: وأوتينا العلم بحقية نبوة سليمان ورسالته ، وما جاء به من الآيات المتقدمة ، وهي الهدهد ، والرسل الذين

⁽١) بناء على أن ذلك من كلام بلقيس ، وهناك قول بأنه من كلام سليمان.

أرسلهم سليمان يُبَلِّغونها (١) _ علمنا ذلك من قبل معجزة إحضار عرش بلقيس.

﴿ وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ أي: مؤمنين برسالته لأننا علىٰ علم بذلك.

﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَعَبُّدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتُ مِن قَوْمٍ كَنفِرِينَ ﴾ أي: ولكن صدَّها عن إظهار إسلامها من قبل: أنها كانت من قوم كافرين متمكنين في الكفر ، فلم تستطع إظهار إسلامها ، حتى حضرت بين يدي سليمان ، وقد رأى الملأ مِن قومها تلك المعجزة الكبرى ، وهي إحضار عرشها من سبأ إلى بيت المقدس.

وعلى هذا المعنى جرى جمع من المفسرين ، وإن قوله تعالى: ﴿ وَأُونِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ هو إخبار من الله تعالىٰ عن مقال بلقيس لمَّا شاهدتْ عرشها ، وهذا يدل علىٰ كمال عقلها؛ كما قال البيهقي وغيره ، ومعناه: وأوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالىٰ ، وصحة نبوتك يا نبي الله سليمان من قبل هذه المعجزة ، أو من قبل هذه الحالة بما شاهدناه من أمر الهدهد ، وما سمعناه من رسلنا إليك من الآيات الدالَّة علىٰ ذلك ، وكنَّا مسلمين من ذلك الوقت ، فلا حاجة إلىٰ إظهار هذه المعجزة .

ثم بيَّن سبحانه وتعالى السبب المانع من إظهار ما ادعته من الإسلام ، فقال: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآيات.

هذا وإن مِن شأن الشيطان الرجيم أنْ يلقي الوساوس والشكوك في القلوب ، ليصدَّ ناساً عن الدخول في الإسلام وعن الإيمان ، وليشوش علىٰ أناس دينهم وإيمانهم ، كما جاء في الحديث عن

⁽١) انظر تفسير النسفي وتفسير الآلوسي وغيرهما.

أبي هريرة رضي الله عنه: (أن ناساً من أصحاب النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلَّم به.

قال: «أَوَقد وجدتموه»؟ قالوا: نعم.

فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «الحمد لله الذي ردَّ كيدَه _ _ أي: كيد الشيطان _ إلى الوسوسة».

وفي رواية قال: «ذلك صريح الإيمان»(١).

وقد بَيَّن الله تعالىٰ أَنَّ القرآن الكريم ، حين يسمعه العاقل وَيَتَسرَّبُ إلىٰ قلبه ، حتى يمتلىء به قلبه ، فإنه يتحرَّك ما في القلب من وساوس وشكوك قد ألقاها الشيطان ، ولكنها سرعان ما تزول وتُمحىٰ آثارها.

قال تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءُ فَسَالَتَ أَوْدِيَةٌ مِقَدَرِهَا فَاَحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيَا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآهَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَعِ زَبَدُ مِثْلُثُم كَذَلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْكِطِلُ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَالَةً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾.

⁽۱) كما رواه مسلم ، وأبو داود ، وفي رواية : عن ابن مسعود رضي الله عنه قالوا : يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يحترقَ حتى يصير حُمةً ، أو يخرَّ من السماء إلىٰ الأرض أحب إليه من أن يتكلم به . قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم : «ذلك محض الإيمان».

وهكذا سيدنا محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كما قال الله تعالىٰ: ﴿ فَلَمَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَاذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾.

إذاً كان يأسف على إعراضهم عن الإيمان أَسَفاً شُديداً.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَكُنَّ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُوِّمِنِينَ ﴾ فهذه الآية صريحة في شدة حرصه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم علىٰ إيمان الأمة ، وهذه أمنية كل رسول ونبي ، فيلقي الشيطان في طريق تحقق هذه الأمنيّة ما يُلقيه في قلوب أمة الدعوة من الوساوس والشبهات المانعة من تحقق تلك الأمنية ، فهنا يميز الله تعالىٰ المنافقين والقاسية قلوبهم الذين أعماهم العِناد، وأصمّهم عن الحق، يميزهم من المؤمنين المنصفين الذين عرفوا الحق واعترفوا به.

وينسخ الله تعالىٰ تلك الإلقاءات الشيطانية مِنْ قُلوب المؤمنين ، ويحكم فيها الآيات المثبِتةِ للحق الذي عَرفوه ، وتبقىٰ تلك الإلقاءات الشيطانية مِن الوساوس والشبهة الفاسدة: تجول وتضطرب في قلوب المنافقين ، والقاسية قلوبهم عن الاعتراف بالحق بعد ما ظهر ، ليفتنوا به ، فهم في ريبهم يَتَرَدّون.

فالوساوس الشيطانية تُلقىٰ علىٰ قلوب الفريقين ، غير أنها لا تدوم علىٰ المؤمنين ، وتبقىٰ علىٰ المنافقين والقاسية قلوبهم.

وعلى القول بأن المراد بالأمنيَّة التلاوة: فإن الشيطان يُلقي تلك الوساوس في قلوب السامعين لتلك التلاوة ، وتكون نتيجة الفريقين كما تقدم أيضاً.